



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



مُقاربة تناصيّة تاريخيّة في الشعر السياسيّ الحديث- قصائد من "بين السياسة والوطنية" من ديوان الشيخ أحمد سحنون أنموذجا -

The approach of historical intertextuality in modern political poetry poems from 'Between Politics and patriotism' from divan Ahmad Sahnoun as an example

كنزة بوهراوة¹، فوزية عبد الله سرير²

¹جامعة علي لونيسي، البلدية2، مخبر اللغة العربيّة وآدابها- الجزائر.

²جامعة علي لونيسي، البلدية2، مخبر اللغة العربيّة وآدابها- الجزائر.

Key words:

Intertextuality,
History,
Poetry,
Politics,
Facts.

Abstract

It was said: the poet is the tongue of his people, as poetry is a template in which its owner holds the issues of his time that occupy his society, in order to address them; and the poet's role is not limited to presenting his people social concerns, as he seeks to influence the target group to share in adopting and defending a cause, especially political issues that are an extension of history, that history through which we understand the political reality, because political events are an integral part of the elements History.

In our research, we tried to explore the locations of historical incidents in the political poems of "Ahmed Sahnoun", in order to emphasize the role of intertextuality in the treating history by linking it to political reality.

We have reached a results, including: that poets have a great role in adopting political issues, as the poet is able to depict history with his own lens by inserting his personal opinions, without prejudice to the actual course of history.

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2020/05/14

القبول: 2020/06/29

الكلمات المفتاحية:

التناص،
التاريخ،
الشعر،
السياسة،
الوقائع.

قيل: أنّ الشّاعر لسان قومه، والمقصود أنّ الشّعر قالبٌ يُحمَل فيه صاحبه قضايا عصره التي تشغل مجتمعه للعمل على معالجتها، ثمّ إنّ دور الشّاعر لا يقتصر على عرض هموم قومه الاجتماعيّة فحسب، كونه يسعى إلى جانب ذلك للتأثير على الفئة المُستهدفة لمشاطرته في تبني قضية معيّنة والدّفاع عنها، ونخصّ بالذّكر جميع القضايا السياسيّة التي تعدّ امتدادا للتّاريخ، ذلك التّاريخ الذي يُتّعظ منه ويُرتكز عليه بُغية فهم الواقع السياسيّ الحاليّ ذلك أنّ الأحداث السياسيّة التي تمّ التّاريخ لها هي جزء هام من الأجزاء التي لا تنفصل قطّ عن عناصر التّاريخ.

وفي بحثنا هذا حاولنا أن نستظهر مواقع الحوادث التّاريخيّة في قصائد الشّاعر "أحمد سحنون" السياسيّة، بُغية التّأكيد على دور ظاهرة التناص اللّغويّة في عرض أبعاد التّاريخ ومعالجته من خلال ربطه بالواقع السياسيّ الحاليّ.

وقد توصلنا إلى جملة من النّتائج، لعلّ أهمّها: أنّ للشّعراء دور عظيم في تبني القضايا السياسيّة، كما أنّ للشّاعر القدرة على تصوير أبعاد التّاريخ بعدسته الخاصّة بإقحام آرائه الشّخصيّة، دون المساس بمجريات التّاريخ الفعلية.

1- مقدمة

اهتمّ الدارسون منذ القدم بالأشعار كونها السبيل المباشر للتعبير عن قضاياهم السياسية والاجتماعية والنفسية وحتى الدينية، فلم يتركوا ميداناً إلا وعالجوه في أشعارهم، التي كانت بمثابة المرآة التي تعكس تجاربهم اليومية، ومتنفسهم الوحيد للكشف عن معاناتهم، ونظراً لقيمة الشعر ومكانته قديماً وحديثاً فقد كان يُنظم بعناية بالغة، فعُولجت فيه قضايا تاريخية ودينية وسياسية كبرى، وتم استلهاها بشكل مباشر أو ضمني بحسب ما تقتضيه الضرورة، وهذا التوظيف عبارة عن إبداع يعكس مدى اطلاع الشاعر وثقافته الواسعة بما يُحيط به من ظروف خارجية، فالشاعر فرد من أفراد المجتمع الذي يتعرّض لاضطرابات وأحداث يومية تكون مؤلمة، أو مفرحة، ونظراً لرهافة إحساسه التي تميزه عن غيره، تقوده قريحته الشعرية نحو قرص الشعر معبراً عن واقعه والمآسي التي يعرفها المجتمع، وقد يتمادى إلى الحديث عما يأمله وما يتمنى أن تأتي به الأقدار في تفاؤل كبير، وبالمصطلح الحديث فإن هذا الإبداع ما هو إلا ظاهرة لغوية نقدية بلاغية؛ اصطلاح الدارسون المحدثون على تسميته "التناص".

ومن هذا المنطلق تتردد في أذهاننا بعض التساؤلات مفادها إذا كان الشعر سجل شخصي يعبر فيه الشاعر عما يختلج في صدره من مشاعر، فما غايته من تدوين الأحداث التاريخية؟ وكيف أسهم الشعر في معالجة القضايا السياسية؟

ولنفترض أن الشعر فعل الأحداث التاريخية قصد الاعتبار منها وإسقاطها على الواقع السياسي الراهن فهل هذا يعني وجود علاقة تلازم بين الماضي والحاضر يستحيل فكها؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية ارتأينا أن نخصص مدونة بحثنا بقصائد من ديوان الشاعر الجزائري "أحمد سحنون" الموسومة بـ: "بين السياسة والوطنية" (سحنون، 2007) التي تعدّ أنموذجاً مثالياً في تصوير الواقع السياسي للجزائر إبان فترة الاستعمار الفرنسي وما بعد الاستقلال وبالتحديد فترة العشرية السوداء التي مرت فيها الجزائر بأزمة خانقة في جميع الميادين والأصعدة، حيث ركّز الشاعر على الانتخابات التشريعية سنة 1991، التي خلّفت صراعات دامية بين الأجنحة السياسية آنذاك، وكان الشاعر أحمد سحنون أحد المتضررين كونه قائد ثوري وأحد العناصر الفاعلة في الحرب الأهلية وإبان فترة الاستعمار الفرنسي، وقد جُرم لذلك، وبسبب التعبير عن انتماءه السياسي فزج في السجن، وقد عبّر عن معاناته في سجنياته الشهيرة كما تحدّث بوضوح عن ذلك في قصيدتي "انتخاب الرئيس" و"أين الاستقلال" (سحنون، 2007، صفحة 82/89)، وهنا نشير إلى أن قصائده السياسية لم تقتصر على وطنه الجزائر فحسب، بل تعدّته إلى دول أخرى، فجاءت تحمل تناصاً تاريخياً صارخاً مع الأحداث والوقائع لبعض الدول العربية وغير العربية.

وعليه فإننا سنقسّم بحثنا إلى شقين: الأول نظري وفيه نعرّف بالشاعر الجزائري "أحمد سحنون" وخلفيته الفكرية ومنابع ثقافته، كما نتطرق إلى تاريخية التناص وبداياته، منه ننتقل إلى الوقوف على التناص التاريخي ودواعي تفعيله في الأشعار خاصة السياسية منها، أما الشق الثاني فهو تطبيقي محض نقوم فيه باستنباط مواضع التناص التاريخي وتحليلها تحليلًا شاملاً من ديوان الشاعر.

وقد استعنا ببعض المؤلفات التي صبّت في موضوع بحثنا على الرغم من قلتها، ونذكر منها: "تاريخ الشعر السياسي" لصاحبها أحمد الشايب، و"دراسات في الإبداع الفني في الشعر" لجهاد المجالي.

2. التناص بداياته وأشكاله

1.1. بدايات التناص

لا مناص من أن التناص من المصطلحات الغربية الحديثة، وقد صيغت معالمة على يد اللسانية الفرنسية جوليا كريستيفا "Julia Kristeva"، متأثرة بإشارات أستاذها الناقد الروسي ميخائيل باختين "Mikhail Bakhtin"، وهو أوّل من أشار إلى مفهومه حينما تحدّث عن مبدأ تعدّد الأصوات أو ما يُسمّى بالحوارية دونما ذكر المصطلح بصريح العبارة، "وينبغي أن لا ننسى أن كريستيفا قدّمت مفهوم التناص من تأملات أستاذها ميخائيل باختين حوله واصطلح عليه الحواريّة أو التعددية الصوتية" (حديد، 2013، صفحة 149)

ويُعتبر التناص من أشهر التقنيات الفنية والأساليب الشعرية التي استخدمها الشعراء المحدثون والمعاصرون على نطاق واسع، واحتفوا بها بوصفها ضرباً من تقاطع النصوص، يمنح النص ثراءً ورونقاً وبالتالي جذب المتلقّي، خاصة حينما يتعلّق الأمر بالأشعار النفعيّة التي تسعى إلى تحقيق منفعة ما، وهو حال الأشعار السياسيّة التي تهدف إلى إقناع المخاطب برأي ما تُجاه قضية معيّنة، ولا يقتصر الاهتمام بمبدأ التناص على الدرس الغربي الحديث فحسب بل تنبّه البلاغيون والنقاد العرب المتقدمون إلى تداخل النصوص وأخذ بعضها من بعض لأغراض متعدّدة وراحوا يتتبّعون كلّ آثاره خاصة في الأشعار التي كانت رمزاً للفصاحة والفحولة، وأعني هنا بالفحولة كل ما يميّز الشاعر الفذ عن غيره، "إنّ مفهوم الفحولة من المفاهيم النقدية التي أخذت مكانتها في تقويم الشعراء، وكان لها أثر كبير في بيان مراتب الشعراء والحكم لهم والإشادة بشعرهم والتّنويه بمنزلتهم بين أقرانهم" (البرقعاي، 2017، صفحة 33)، كما أنّ الفحولة متباينة من شاعر لآخر وكلّها تصبّ في باب التمكن من نسج الشعر وتوظيف أخبار السابقين فيها "لا يصير الشاعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار" (القيرواني، 1981، صفحة 197) وباعتبار رواية أخبار وأشعار السابقين من الفحولة؛ فقد خصّصوا لهذه الظاهرة أعني تداخل النصوص أبواباً وصنّفوا على أساسه الشعر إلى جيّد ورديّ وقد تفتن بعضهم إلى عدم وجود نصّ مستقل، وإنما كل

والاجتماعي الذي عانى منه" (الخليل، 2016، صفحة 111)، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ الشعري العربي بشكل عام والجزائري على وجه الخصوص، إذ تعرض العديد من الشعراء للنفي والقمع والسجن وحتى الاغتيال، فقط لتطرقهم لقضايا سياسية، مثل: الشاعر الطاهر جعوط وسي أمحمد أو محمد ومفدي زكرياء وغيرهم.

3. التاريخ وشعرية التاريخ العلاقة والأهداف

1.3. أهداف الشعر التاريخي

إنَّ المتتبع للأشعار ذات الفحوى السياسي التاريخي يجد صاحبها لا يسعى لا من قريب ولا من بعيد إلى تأريخ تلك الأحداث، ولا تعرضها على المتلقي، فالشاعر يهدف من خلال تفعيلها إلى التأثير في المتلقي وجذب انتباهه، وذلك بربط واقعه الراهن بما خلفته الأمم من أحداث راسخة "إنَّ الأحداث التاريخية تكتسب دلالات جديدة حين تصبح مادة للتجربة الأدبية وليس هدف الأديب من العودة إلى أحداث التاريخ وتجاربه هو إطلاع الناس عليها، بل إنَّ مراده يكمن في اختيار التجربة التي تمكنه من التعبير عن مشكلة اجتماعية أو حتى إنسانية تشغل مجتمعه وعصره" (المجالي، 2008، صفحة 138) ذلك أنَّ الشاعر غير مُلزم بعرض الحادثة التاريخية عرضاً مفصلاً شاملاً وليس مجبراً على احترام تسلسلها الزمني المنطقي، ولهذا نجد بعض القصائد تعرض واقعة تاريخية في عصر ما، وتتبعها بواقعية سابقة لها زمنياً وهذا ليس عيباً، ذلك أنَّ للشاعر الحرية المطلقة في تحليل تلك الأحداث التاريخية السياسية بحسب ما يقتضيه الهدف من نصّه واستناداً إلى ذاتيته التحليلية، فهو ليس مقيداً بالالتزام بمنطق التاريخ وتفصيلاته كونه يملك الحرية المطلقة في النظر إلى الحدث التاريخي وتفسيره وتوضيح بواعثه من الوجهة التي تحقق له هدفه "إنَّ الأديب يتناول التاريخ بأسلوب يخالف أسلوب المؤرخ، وهو لا يلتزم بدقائق أحداث التاريخ، وإنما يهتم بخطوطها العامة على حسب ما تقتضيه طبيعة التجربة الأدبية لتتحول عندها من الخصوص إلى العموم" (المجالي، 2008، صفحة 139/138) أي أنَّ المؤرخ مُجبر على احترام التسلسل المنطقي دون تقديم حادثة متأخرة على حادثة متقدمة زمنياً لأنَّ هذا يُنافي المنهجية المثالية لدراسة الوقائع التاريخية، ويُفقد موضوعيتها "يجب على المؤرخ امتلاك مهارة التفكير الزمني بقدرته على استخدام النظم التي يتم من خلالها ترتيب الوقائع والأحداث التاريخية وعرضها في ضوء منهجية الترتيب الزمني والذي يُسمى ترتيب الأزمنة" (قرامل، 2013، صفحة 187)

2.3. العلاقة بين التاريخ وشعرية التاريخ

لعلَّ التحليلات أعلاه تدفعنا إلى رسم الحدود الفاصلة بين الشعر التاريخي السياسي والتاريخ السياسي، فالأول ما هو إلا تفعيل للثاني لأسباب وأغراض عديدة منها: الشخصية والاجتماعية والوطنية والدينية وغيرها، فعلى سبيل المثال حينما يتحدث الشاعر عن القضية الفلسطينية فهو يُبدي

عمل أدبي ما هو إلا مجموعة من النصوص المتداخلة، وهو ما عبّر عنه الجاحظ بقوله: (الجاحظ، 2010، صفحة 149) "لا يُعلم في الأرض شاعر تقدّم في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب، أو بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه يسرق بعضه أو يدعيه بأسره ويستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه" ولخصّ كعب بن أبي سلمة ظاهرة التناص بقوله: (كعب، 2008، صفحة 45)

مَا أَرَأَانَا نَقُولُ إِلَّا مَعَارَا أَوْ مُعَادَا مِنْ لَفْظَانَا مَكْرُورَا

فالقصيد سارت على هدي السابقين في نظمها بدءاً بذكر الديار والبكاء على الأحبة والأطلال إلى غير ذلك، حتى صارت هذه الظاهرة جادة يسير عليها كل شاعر "الشعر قوالب معروفة يختار الشاعر قالباً منها ليعبر به عما يريد قوله نظماً" (جواد، 1968، صفحة 98) وقبل الخوض في كنه هذه الظاهرة اللغوية حري بنا التعريف بالتناص.

2.2. تعريف التناص وأشكاله

التناص من الجذر الثلاثي [ن ص و]: تناصى يتناصى، تناصياً فهو مُتناص، والتناصية قصاص من الشعر في مقدّم الرأس (الفراهيدي، د.س)، (صفحة 157) تناصى القوم: أخذ بعضهم بنواصي بعض في الخصومة وتناصت الأغصان: أي علقت رؤوس بعضها ببعض وتشابكت" (مختار عمر، 2008، صفحة 2224) هو مصدر للفعل تناصّ وبفك الإدغام تناصص، وهو على وزن تفاعل الدال على المشاركة. وقد دلت في أغلب المعاجم على التشابك والازدحام، فقد جاء في تاج العروس "تَنَاصَّ الْقَوْمُ: اَزْدَحَمُوا" (الزبيدي، 1992، صفحة 182) وهذا المعنى قريب من المشاركة أي هناك علاقة بين الدلالة المعجمية والدلالة الصرفية لمصطلح التناص، وبالتالي فدلالته هي الاشتباك والازدحام والتداخل.

للتناص عدة أشكال فقد يتجلى في شكل مباشر وصريح، كما قد يُفعل ضمناً لأسباب كثيرة وعلى رأسها السياسية، وأنواعه هي الأخرى كثيرة تتباين بحسب مرجعية الشاعر الفكرية والثقافية والإيديولوجية وحتى الروحية، كما تتحدد معالم التناص حسب ما يقتضيه النص، ولعلَّ الأبرز تناصية الأحداث التاريخية "إنَّ تعدّد مرجعيّات النصّ يمتدّ من النصوص إلى كل الظواهر الفنية وغير الفنية فالنصّ ليس بمعزل عن باقي المعارف والنصوص، فوجوده يعتمد على التقاطع والتفاعل معها، فالمرجعيات التناصية الأكثر وضوحاً هي التاريخية والأسطورية ثمّ الدينية بنسبة أقل، وقد يكون لهذه المرجعيّات حضور مادي مباشر أو غياب يتجلى في الحضور الرمزي أو الإيحائي" (النعي، 2009، صفحة 248)

والمقصود من القول أعلاه أنَّ التناص التاريخي بات من أشهر الأنواع على الإطلاق، خاصة في شكله السياسي الذي ينحى في الغالب منحاً رمزياً ضمناً تجنباً للمشاكل السياسية "ومما دفع الشعراء إلى استثمار الرمز والتشبيث به هو الكبت السياسي

ويُدعى بالمجاهد الأديب (الكرباسي، 2018، صفحة 145)، فهو عالم وفقه وشاعر وكاتب ومُصلح وإمام وخطيب ومناضل (خدوسي رابع وآخرون، 2014، صفحة 128)، كونه أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد شارك في الحركة الإصلاحية الجزائرية وفي النهضة الثقافية، وُلد في قرية ليسانة في بسكرة (دُران، 1984، صفحة 38) توفيت أمه وهو رضيع فرباه والده، وحفظ القرآن في عمر اثنتي عشرة سنة، كان مُولعا بكتب الأدب وطالع منها الكثير، إلى أن التقى 1936م بالعلامة عبد الحميد بن باديس، فتحول جذريا نحو حركة الإصلاح، كَتَبَ في صحف الشَّهاب والبصائر وغيرها، وجاهد ضدَّ الاحتلال (المكتبة الشاملة، 2012) وقد اصطحبه شيخه فرحات بن الدراجي إلى الجزائر العاصمة واشتغل مُدرِّسا في مدرسة الشَّيْبَةِ الإسلامية، وفي عام 1947 عُيِّنَ عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين ثم عُيِّنَ أستاذا في مدرسة التهذيب فمديرا عليها، وقد واكب حركة الإمام ابن باديس الإصلاحية، فسُجِنَ عام 1956، إذ اعتقله الفرنسيون إلاَّ أنه لم ينقطع عن نظم الشعر وقد أطلق على القصائد التي نظمها في السَّجْن "حصاد السَّجْن"، وأُطلق سراحه لأسباب صحيَّة عام 1959، وعند إطلاق سراحه تولى الإمامة في عدَّة مساجد، كما ترأَّس رابطة الدَّعوة الإسلامية عام 1989 (خدوسي وآخرون، 2014، صفحة 128)، توفِّيَ في الجزائر العاصمة عام 2003 ومن آثاره: ديوان أحمد سحنون، ديوان شعر للأطفال، دراسات وتوجيهات إسلاميَّة، مقالات نثرية، قصيدة كنوزنا (مخطوط)، الشعر المنثور (مخطوط). (الكرباسي، 2018، صفحة 145)

2.4. القضايا التاريخية السياسية في قصائد أحمد سحنون

عالج الشَّاعر الجزائري أحمد سحنون بعض القضايا السياسيَّة التي مرَّت في التاريخ، في ديوانه الذي قسَّمه إلى عناوين رئيسة باعتبار فحوى القصائد، ومنها السياسيَّة التي جاءت تحت عنوان "بين السياسة والوطنية"، فضمَّت سلسلة من التجارب التاريخية ومنها حرب الخليج الأولى، التي خصَّها بقصيدة موسومة بـ "بين العراق وإيران" وعبر عنها بقوله: (سحنون، 2007، صفحة 111)

بَيْنَ الْعِرَاقِ وَبَيْنَ إِيْرَانِ شَبْتُ بِهَذَا الْعَصْرِ نَازَانَ
نَارُ تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ ثَابِتٍ وَتَذْكُ مَا شَادَتْ يَدُ الْإِنْسَانِ

ليصوِّر الأزمَة الخانقة التي استمرَّت قرابة تسع سنوات.

وقد تطوَّرت الأزمَة من مجرد صراع سياسيٍّ جُغرافيٍّ لحرب داميَّة "لقد استمرَّت الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة تسع سنوات تقريبا بين دولتين مسلمتين متجاورتين متنافستين، وتعتبر هذه الحرب من أطول الحروب في تاريخ العالم الثالث الحديث واشتركت فيها كل القوى الرئيسيَّة سواء في الصَّراع السياسي الذي أحاط بالحرب أو في القتال الفعلي الذي دار بالمنطقة" (المشير، 1994، صفحة 5) ولعل السَّبب الشائع

وجهته الشَّخصيَّة في التعاطف معها، أو يُمارس ما يُسمَّى في التداوليَّة بالفعل الكلاميِّ التأثيريِّ المتضمَّن في فحوى القول لتنبية العرب إلى مساندة إخوانهم الفلسطينيين، وهو الأمر الذي فضَّل فيه حسن المنصور (منصور، 2008، صفحة 156) كونه طرح الإشكاليَّة بقوله "فما علاقة الشَّعر بالتاريخ؟ يبدو أن هذا السُّؤال وجيها خصوصا أن من الشَّعر ما كان يسجِّل الأحداث وربَّما كان يسرد تفاصيلها إلى حدِّ ما والتاريخ يقوم بهذه المهمَّة ذاتها فهما يلتقيان في هذه النُقطة"، وأجاب (منصور، 2008، صفحة 156 / 157) عن هذه الإشكاليَّة بوضوح "التاريخ سجلُّ محاييد للأحداث وتسلسلها وملابساتها كما جرت على أرض الواقع على خلاف فلسفة التاريخ فهذه الأخيرة مجال واسع للتحليل والتعليل وإبداء الرأْي والتنظير والتقييم من وجهات نظر مختلفة، والتناص التاريخي في الأشعار يختلط بانفعال الشَّاعر بهذه الأحداث فيجعل المتلقِّي يشاركه تفاعله ويتعاطف معه سلبا أو إيجابا كما يمكن للشَّاعر أن يغيِّر بعض الأحداث، أو يحوِّر في سيرها فتكون مسرحيَّة مزيجا بين الحقيقة والخيال المتكرر" هذا يعني أنَّ التاريخ يعدُّ مصدرا للتجارب البشريَّة، وأرضيَّة خصبة للإلهام استمدَّ منه الشَّعراء موضوعات لإبداعاتهم، واختاروا من تلك التجارب ما يصلح للتعبير عن مشكلة إنسانيَّة أو اجتماعيَّة تشغلهم كشعراء أو تشغل عصرهم أو تشغل الإنسان في ذاته "فالشَّاعر يختار من شخصيَّات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقِّي" (منصور، 2012، صفحة 105)

وجدير بالذكر أنَّ الشَّاعر لا يُوظَّف التاريخ، أو الأحداث السياسيَّة اعتبارا، بل بطريقة انتقائيَّة يُراعي فيها عدَّة اعتبارات، كالواقع المعاش الذي يُشترط أن يكون ذا علاقة بمضمون التاريخ، ومُراعاة الطَّرَف الذي يُوجَّه إليه الخطاب، فمثلا تفعيل شخصيَّة جزائريَّة ثوريَّة في قصيدة تحثُّ على الحراك الذي عشناه مؤخرا في الجزائر، هو رسالة واضحة بالنسبة للشَّعب الجزائري، وبهذا يكون الشَّاعر حقَّق الفهم المثالي باختيار رسالة تناسب القاعدة الثقافيَّة للمتلقِّي "الشَّعر يحمل في طياته نماذج من شخصيات كان لها أثر بارز في تغيير المواقف في شتى الميادين الحياتيَّة، أو في صنع المواقف، لذا التف الشَّعراء حول هذه النماذج لتكون صلة وصل بين ماضيهم وحاضرهم، فليس كل التاريخ يصلح لتكون أحداثه متشابهة لأحداث العصر، فالانتقائيَّة خاصيَّة أساسيَّة من خصائص تعامل الشَّاعر مع التاريخ" (غني، 2008، صفحة 30)

4. البعد التاريخي السياسي في شعر أحمد سحنون

1.4. ترجمة أحمد سحنون

لقد وظَّف الشَّاعر "أحمد سحنون" جملة من التجارب التاريخيَّة للتعبير عن معاناة عصره وقضاياها، وقبل الخوض في عرض التنصيص التاريخي للأحداث السياسيَّة بديوانه، حرَّي بنا ترجمة الشَّاعر أحمد سحنون: شاعر الجزائر في عصره (1907 / 2003م)، من أبرز شعراء العصر الحديث

الأولى تلتها الثانية عام 1837 وتصاعدت حدة الاشتباكات على الحدود، وتدخلت جهود الوساطة العربية والدولية إلى أن تم توقيع اتفاقية الجزائر عام 1975، تم فيها الاتفاق على الحدود بينهما، وتصاعدت الاشتباكات من جديد بين البلدين إلى أن حدثت ثورة الخميني وأعلنت العراق الحرب على إيران في سبتمبر 1980 "المشير، 1994، صفحة 59/58" وهو الأمر الذي وقف عليه الشاعر متأسفاً، كما أشار إلى بعض الدول المسلمة والعربية التي لم تحرك ساكناً لحل النزاع، بقوله:

وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ قَدْ شَارَكُوا بِسُكُوتِهِمْ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

ولم يكتف بعض العرب من التخاذل، بل هناك من دعم الحرب وحرّض عليها، ومن هؤلاء ملك الأردن الذي دعم رئيس العراق آنذاك "صدام حسين" ضد الخميني وبالتالي غزو إيران "في يوليو 1980 اجتمع برزين سكي مستشار الأمن القومي بالحسين بن طلال ملك الأردن في عمان لمناقشة خطط مفضلة يري من خلالها الرئيس العراقي صدام حسين تقديم انقلاب في إيران ضد الخميني وكان الحسين بن طلال أقرب حلفاء صدام في العالم العربي، أدى دور الوسيط أثناء التخطيط للغزو العراقي لإيران" (اسماعيل، 2010، صفحة 93) وبعد سلسلة التخطيطات والتشاورات قامت حرب الخليج الأولى التي خلفت دماراً وقتلى، وهو الأمر الذي أثر في نفسية الشاعر، ما جعله ينظم هذه القصيدة التي قد تبدو للوهلة الأولى مجرد أبيات شعرية اعتباطية، إلا أن المتعمّن فيها يجد أنها خطاب يتضمن أفعالا تأثيرية موجهة للمسلمين لوقف الحروب الدامية، والتذكير بما خلفته الحروب

من دمار كحرب الخليج الأولى، وذلك قصد الاعتبار وعدم تكرار السيناريو نفسه.

إنّ المجازر الدامية التي صوّرها الشاعر لم تقتصر على الحرب العراقية الإيرانية، بل تطرّق كذلك إلى حادثة قصف الولايات المتحدة الأمريكية لبيبا عام 1986م، وذلك في قصيدته الموسومة بـ "الغارة الحاقدة" كناية عن أمريكا التي لا تكف عن خرق السلام العالمي وزرع الدمار، بقوله: (سحنون، 2007، صفحة 106)

غَارَةٌ وَاشْتَطَنَ عَلَى لِبْنِيَا بِدَافِعِ الطُّغْيَانِ وَالْكِبْرِيَاءِ

وَقَتَلَتْ فَلَذَاتَنَا الْأَبْرِيَاءِ إِذَا خَبَا شُعَاعُ وَحْدَتِنَا

نَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ أَشْقِيَاءَ

فالبيت الأول من القصيدة (بدافع الطغيان والكبرياء) يُصوّر الدافع الحقيقي خلف القصف الأمريكي لبيبا، والمتمثل في عرض قوتها وبالتالي تخويف الدول الأخرى وترهيبها لئلا تتجرأ على مخالفة قراراتها العالمية، أو التدخل في شؤونها من قريب أو من بعيد "استخدمت الإدارة الأمريكية عدة مصطلحات مع بعض الدول التي اختلفت معها سياسياً مثل ليبيا وإيران والعراق وكوبا، كمصطلح الحصانة واعتبرت ليبيا دولة غير حصينة وعاجزة عن الدفاع عن نفسها، وهي

والمتداول في نشوء الخلاف بين الدولتين جغرافياً بالدرجة الأولى بسبب نهر شط العرب الواقع في الحدود العراقية الإيرانية، ونسبة إليه أُطلقت تسمية أزمة شط العرب التي أعيت الدول الوسيطة لفك النزاع "الأزمة الحدودية بين العراق وإيران تعود إلى أيام الدولة العثمانية فخلال القرون الأخيرة وقعت بين البلدين إحدى وعشرون معاهدة واتفاقية لترسيم الحدود دون أن تفلح أي منها في إنهاء النزاعات الحدودية بينهما" (المخرومي، 2011، صفحة 73)، ولا يقتصر الخلاف على الجانب الجغرافي فحسب، بل أرجع بعض الدارسين النزاع إلى أسباب أخرى "الخلاف الذي نشأ في العصر الحديث بين إيران والعراق يرجع إلى مشكلة الحدود التي تشمل شط العرب والسليمانية والخلاف المذهبي بين السنة والشيعة ورغبة كل من الدولتين بسط نفوذها على منطقة الخليج بعد الانسحاب البريطاني عام 1971" (المشير، 1994، صفحة 57) وبحسب بعض الدارسين فإن الخلافات المذهبية هي أول وأهم سبب لنشوء الخلاف واستباحة الدماء، رغم عدم وقوف المؤرخين عليه وقفة جادة واكتفائهم بالإشارة إليه بإيجاز باعتباره سبباً ثانوياً مقارنة بالسبب الجغرافي، وهو الأمر الذي أشار إليه سحنون، بطريقة ضمنية بقوله: (سحنون، 2007، صفحة 111)

أَتَكُونُ بَيْنَ مُجَاهِدٍ وَمُجَاهِدٍ حَرْبٌ يَخُوضُ غَمَارَهَا الْإِخْوَانُ

فَنَقُولُ: أَلْفَا قَدْ قَتَلْنَا فِي الْعِرَاقِ وَقَدْ تَكُونُ الْأَلْفُ فِي إِيْرَانِ

إذ يتساءل الشاعر متحسراً على الحال الذي آلت إليه الدول المسلمة واستخدم كلمة إخوان لا للدلالة على العروبة باعتبار أن لغة إيران الفارسية، وإنما للدلالة على الإسلام كونه الجامع المشترك بين الدولتين إذ أحزنه الوضع الدامي المتمخض عن الصراع المذهبي بين السنة والشيعة رغم أن كليهما يندرج تحت لواء الإسلام، وقد فصل المشير أبو غزالة (المشير، 1994، صفحة 5)، في تاريخية هذا الصراع الذي اصطلح عليه "تاريخية الأزمة المذهبية لحرب الخليج الأولى بقوله "إن نظرة فاحصة للتاريخ تؤكد لنا أن الصراع بين إيران والعراق هي في الأصل صراع بين الفرس والعرب بدأ عام 606 قبل الميلاد، ولا زال مستمراً حتى يومنا هذا، وتجدد هذا الصراع في القرن السادس عشر بين الإمبراطورية العثمانية والفارسية، إذ كانت الحدود بين أراضيها غير واضحة لأنها كانت تخضع للولاء القبلي، وكذا المشكلة المذهبية إذ كان الفرس أغلبهم من الشيعة في حين كان العرب من السنة، وكانت معظم الأماكن المقدسة للشيعة مثل كربلاء والنجف تقع في أرض العراق"، وقد تدخلت العديد من الدول لفض هذا الخلاف قبل تحوله إلى حرب، وتم توقيع العديد من الاتفاقيات والمعاهدات لكن دون جدوى "واستمر الخلاف بين المذهب الشيعي والمذهب السني، وفي عام 1639م وقعت اتفاقية سلام بين الإمبراطوريتين، وفي عام 1818 تفضرت نزاعات الحدود ثم وقع الطرفان معاهدة جديدة عام 1823 سميت اتفاقية أرضوم

لُبْنَانُ مَوْطِنُ أَذْيَانٍ وَحَيْثُ تَرَى تَفْرِيقَ دِينٍ تَرَى تَفْرِيقَ أَوْطَانٍ والمقصود من قول الشاعر أن التمييز بين عرق وآخر أو مُفاضلة دين على غيره، هو مردُّ المأزق، ولعل المسؤول المباشر عن تصاعد الطائفية هي الحكومة اللبنانية التي سمحت لبعض الطوائف بالتدخل المباشر في خصوصياتها وقراراتها، والميل لكفة على حساب الأخرى لبعض الاعتبارات "إيقاف الطائفية حاصل بالسعي إلى جعل الحكم اللبناني لا يستند إلى طائفة واحدة دون أخرى، بتبني فكرة الطائفية العادلة كتوزيع المغنم بينها، علما بأن الظروف التاريخية تؤكد استحالة الوصول إلى تلك العدالة بعد سيطرة بعض الطوائف على العديد من أجهزة الدولة" (ظاهر، 1984، صفحة 395)، ورغم الدور الكبير الذي تلعبه الحكومة اللبنانية في تفشي هذه الظاهرة، إلا أننا لا نستطيع تجاهل دور المجتمع الذي كان السباق إلى جعل الطائفية جزء لا يتجزأ من كيان دولته، وذلك باعتبار كل طائفة نفسها ذات فضل على نظيرتها "إن الطائفية دخلت التاريخ اللبناني من خلال دخولها في عقول اللبنانيين وعاداتهم وأعرافهم، فالتاريخ من صنع الناس والطائفية ظاهرة تاريخية أضحت من فعلهم أكان ذلك عن وعي أو لاوعي منهم" (شاهين، 1996، صفحة 15).

وقد عبر الشاعر عن دور الأجيال في صنع هذه الطائفية قائلا: (سحنون، 2007، صفحة 104)

دَمَّرَ الْخَلْفَ مَا شَادَتْ مَوَاهِبُهُ بَنَارَ حَزْبٍ لَهَا انْسَاقُ الشَّقِيقَانِ

وَشَارَعَ الدِّينَ لِلْإِنْسَانِ خَالِقَهُ وَالْكَفَرُ تَشْرِيعَ إِنْسَانٍ لِنَسَانِ

فالشاعر يهدف من خلال هذين البيتين إلى توضيح الدور السلبي للمجتمع في نشر الفكر الطائفي، كما ينفي أن يكون هذا الأخير وليد الملامبات السياسية بمعزل عن العوامل الأخرى خاصة الاجتماعية والنفسية وغيرها، مؤكدا أن جميع هذه الظروف تتضافر لتخلق الأزمة الطائفية في لبنان "الطائفية ظاهرة نفسية ودينية اجتماعية واقتصادية وسياسية في الوقت نفسه، وبالنسبة لهيمنة إحدى المظاهر على الأخرى، فنعتقد أن المظهر الاجتماعي والسياسي منذ القرن التاسع عشر أخذ يطغى" (شاهين، 1996، صفحة 43)

ويبدو أن الشاعر لم ينشغل بالقضايا التي أثقلت العالم العربي فحسب، بل راح يتتبع القضايا التاريخية العالمية كالحرب الباردة التي كانت نموذجا لصراع الأجنحة العظمى التي شغلت العالم بأسره، إذ كان ينتظر بشغف نهايتها ليعرف من سيسير العالم، ولم يفلح أحد في التنبؤ بسير الحرب ونتائجها باعتبار أن كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي من أقوى الدول اقتصادا، والأشرس عسكريا، وقد عبر سحنون عن ذلك في قصيدته المعنونة بـ "أمريكا وروسيا" بقوله: (سحنون، 2007، صفحة 112)

أَمْرِيكََا وَرُوسِيَا اقْتَسَمَتَا الْأَرْضَ فَشَطْرَ لَذَا وَشَطْرَ لَذَاكَ
وَأَشَاعَا الْخِلَافَ بَيْنَ الْبَرَايَا وَاسْتَحَالَ الْخِلَافُ حَرْبًا دَرَاكََا

أشبه ما تكون بجراب ملاكمة يُستخدم لعرض العضلات حين الحاجة، ومن هنا جاء قصف ليبيا في عام 1986 "النعيمي، 2012، صفحة 302)

وراحت أمريكا تخلق بعض المبررات لغزو ليبيا، وقدمت أسبابا لا تمت للواقع بصلة، والمؤسف أن الدول ذات السيادة قررت بالإجماع أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم سوى بحققها المشروع ألا وهو الدفاع عن النفس ضد تخطيطات ليبيا "برزت الولايات المتحدة هذا القصف بأن ليبيا أرسلت 400 مليون دولار، فضلا عن مخزون هائل من الأسلحة والخبراء العسكريين إلى نيكاراغوا من أجل نقل حربه إلى الولايات المتحدة، ومن وجهة نظر الإدارة الأمريكية فإن أمريكا مارست حقها بالدفاع عن نفسها ضد الهجوم المسلح لدولة نيكاراغوا" (النعيمي، 2012، صفحة 302/303)

ثم انتقل الشاعر لتجسيد العمل الإرهابي الذي مارسه أمريكا في حق الشعب الليبي من تقتيل وتنكيل والنتائج المترتبة عن هجومها الشنيع من ضحايا عسكريين ومدنيين، بقوله (وَقَتَلَتْ فَلَدَاتِنَا الْأَبْرِيَاءَ) فهؤلاء كانوا ضحايا التسلسل الأمريكي "لعل أسوأ حادثه مؤرس فيها الإرهاب الدولي هي قصف ليبيا، إذ قُتل ما يربو عن مائة شخص بحسب التقارير الغربية، فكانت ذريعة الولايات المتحدة لتبرير هذا القصف خادعة كما هو معروف، وحقيقتها أخفيت عن عيون الشعب ووسائل الإعلام آنذاك، دون أن تكون لديها القدرة على أن تخلص إلى النتائج الواضحة" (تشومسكي، 2015، صفحة 93)، وكانت هذه رسالة تحذيرية واضحة وجهها الشاعر إلى المسلمين والعرب للحد من سياسة أمريكا.

ويبدو أن الشاعر ملّم بالأحداث التاريخية التي فصل في حيثياتها ومحلل فد لها، كونه لم يكتف بعرضها عرضا سطحيا اعتباريا، بل أرفقها بنظرته الشخصية التحليلية، وقد أبدى رأيه بشكل مباشر في هذه القضايا، ولعل أدل مثال على ذلك قضية الطائفية في لبنان التي عبر فيها عن رأيه بشكل صريح ومباشر، معتبرا أن دولة لبنان باتت رمزا للطائفية، وهذا ما يتوضح في قوله: (سحنون، 2007، صفحة 104)

الطَائِفِيَّةُ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ وَهَلْ هُنَاكَ دَلِيلٌ مِثْلَ لُبْنَانِ

وقد اعتبر الكثير من الدارسين أن السبب المباشر في انتشار الطائفية في الجمهورية اللبنانية مرده التباين والتعدد الهائل للطوائف والمذاهب ورغبة كل منها في السيطرة سياسيا واجتماعيا "الأصل العرقي لسكانها عرب مع بعض الأرمن والشراكسة والأتراك، وأما عقائديا فيسود لبنان تعدد الديانات تصل لحد التنافس بين المسلمين والنصارى والدروز واليهود، كما تضم لبنان على صغر حجمها عدة طوائف دينية لكل منها حاكمها وتشكل كل طائفة كيانا مستقلا" (الهزايمة، 1997، صفحة 208)، فعبر سحنون عن التعدد العقائدي الذي نتج عنه شرخ عميق في بنية الدولة على جميع الأصعدة، قائلا: (سحنون، 2007، صفحة 104)

بقصيدة كاملة جاءت بعنوان "اغتيال ضياء الحق"، وكانت تصريحاته في هذه القضية صريحة، على خلاف بعض الشعراء والكتاب الذين أرخوا لهذه الحادثة دون إقحام اسم الدولة المسؤولة عن ذلك، بل اكتفوا بالتلميح الضمني، فنجد الحسيني في مؤلفه الذي صنف فيه أشهر الاغتيالات العالمية يتحفظ عن ذكر الطرف الثاني في الحادثة، إذ قال "تمكنت الحكومة السابقة بمساعدة بعض الجهات الأجنبية القريبة من ضياء الحق من إسقاط طائرته وقتله مع مجموعة كبيرة من قيادات الجيش الباكستاني عام 1988" (المهدي، 2014، صفحة 132)، والمقصود بالجهة الأجنبية القريبة هي أمريكا، إذ عُرف عنه التعامل المباشر معها خاصة في المجال العسكري "اعتمد ضياء الحق في سياسته الجديدة في باكستان على اتجاهين: التقرب من الولايات المتحدة الأمريكية، والتقرب من الإسلاميين بإقامة علاقات وثيقة مع بعض الأقطار الإسلامية" (أمين، 2016، صفحة 108)، وفي اعتقاد الشاعر أن السبب الرئيسي خلف هذا الاغتيال مرده السبب الثاني، فرغبة ضياء الحق التقرب من المسلمين تمخض عنه رفض الدول العظمى لهذا التعاون بجميع أشكاله بسبب التعصب الديني والتخوف من نشر الإسلام في العالم، وهذا ما يتجلى في قول الشاعر: (سحنون، 2007، صفحة 101)

إِنَّ ضِيَاءَ الْحَقِّ قَدْ عَاشَ دَاعِيَا لِدِينٍ بِهِ تَشْمُو النَّفُوسُ وَتَغْضَمُ
أَزْدَتِ ضِيَاءَ الْحَقِّ أَيْدٍ أَثِيمَةٌ تَرَى الْخَيْرَ أَنْ لَا يَرَى النُّورَ مُسْلِمٌ

والمتمم في هذه الأبيات يجدها تحمل خطاباً تأثيرياً مباشراً في السامع فالشاعر هنا لا يتحدث اعتباطاً، بل ينبه المسلمين لحجم الحقد الذي يكنُّ لهم، وذلك بتصوير وضعهم وأزماتهم السياسية بسبب انتمائهم الديني الذي يُشكّل عائقاً، بل وهوساً لبعض الدول العظمى كأمريكا وغيرها من الدول المتعصبة والمغتصبة للأوطان، ومنها فرنسا التي ارتبط اسمها تاريخياً بالمجازر التي مارسها في حق الشعب الجزائري، ومن هنا ينتقل سحنون إلى قضية وطنه التي شغلته منذ دخول الاستعمار الفرنسي للأراضي الجزائرية، إلى غاية الاستقلال، مروراً بالأزمات التي واجهتها الجزائر خاصة إبان فترة التسعينات، والتي أطلق عليها "العشرية السوداء"، وقد عبّر سحنون (سحنون، 2007، صفحة 115) عن كل هذه المراحل بقوله:

أَرْضِي يَا مَنْبَتَ الْعَلَا لِلَّهِ كَمْ أَنْتِ تَأْلَمِينَ
عَرَفْتَ بِالْأَمْسِ فِي الدِّمَا وَالْيَوْمِ فِي الْبُوسِ تَفْرَقِينَ إِذْ

تفنن الشاعر بربط الماضي والحاضر برباط الألم والأسى، بدءاً من وصف المجازر الشنيعة للمستعمر الغاشم الذي أوهم العالم بأنه دخل الأراضي الجزائرية لهدف نبيل سعي لنشر الدين المسيحي الحق وتطويراً للجمهورية الجزائرية التي كانت بعيدة كل البعد عن مظاهر الحضارة - بنظرهم - إلا أن هدفهم كان انتقامياً في المقام الأول لأسباب تاريخية دينية، تليها الأسباب الاقتصادية "لم ينس الفرنسيون ما حدث خلال الحروب الصليبية بين المسيحيين والمسلمين

وفي البيت أعلاه إشارة واضحة من الشاعر إلى ما يُصطلح عليه في التاريخ بالثنائية القطبية، أي الهيمنة التي تمارسها قوتان دوليتان على جميع الأصعدة "عاش العالم في نظام ثنائي القطبية يحكمه معسكران سوفيتي شرقي وأمريكي غربي، امتد الصراع بينهما لعقود متمثلة في حروب ونزاعات وتوترات عسكرية وسياسية وصلت لحد التهديد بحرب نووية وهي الحرب الباردة" (العلي، 2015، صفحة 03) وراح سحنون يُعبّر عن القلق السياسي الذي عاشه العالم آنذاك خاصة وأن كلا القطبين لم يكن على استعداد لفض الخلاف بطريقة سلمية، ولم يسع أي طرف للهدنة، بل كان أي فعل يقابله رد فعل مباشر، ما زرع الدُعر في باقي الدول التي كانت تترقّب حرباً نووية موشكة "كانت العلاقات الأمريكية السوفيتية أشبه ببندول الساعة فما أن تبادر الأولى بخطوة معينة على صعيد العلاقات الدولية حتى تقوم الثانية بخطوة مقابلة، ولم يقتصر ذلك على الشؤون الاقتصادية والسياسية، بل اتجهت إلى الجانب الأمني كإقامة الأحلاف العسكرية لتبدأ مرحلة جديدة في العلاقات الدولية أطلق عليها الحرب الباردة" (آل طورش، 2017، صفحة 152)

واستمر الشاعر في عرض مجريات الأحداث بأسلوبه الذي حمل الكثير من الأسى والأسف لغيب السلام العالمي، إذ قام بالتهديد المباشر بهذه الأفعال التي لا تمت للإنسانية بصلته، كما أشار إلى حقيقة مفادها أن العالم يُسير وفق ما يُسمى بقانون الغاب - القوي يقضي على الضعيف - بقوله: (سحنون، 2007، صفحة 112)

وَالْقَوِيُّ يَسْتَعْمِرُ الْخَلْقَ لَا يَخْلُو لَهُ غَيْرَ أَنْ يَكُونَ كَذَاكَ
كَيْفَ يَا مَدْعِي الْحَضَارَةُ تُرْضَى أَنْ يَغْمُ الْأَنَامُ ظُلْمًا أَذَاكَ

وهي إشارة مباشرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي خرقت السلام العالمي لبلوغ الهيمنة الأحادية، وفعلاً حققت رغبتها بعد فشل الاتحاد السوفيتي في أن يكون صاحب السيادة العالمية "نحن نعيش اليوم في عالم أحادي القطبية تحكمه الولايات المتحدة الأمريكية فبعد عقود من الحروب بينها وبين حلفاء غربها الاتحاد السوفيتي أصبحت تهيمن على الساحة الدولية كافة" (العلي، 2015، صفحة 04)

ويبدو أن سحنون لم يكتف بعرض جرائم أمريكا التي لا تكاد تخل أية واقعة تاريخية من حضورها إذ تطرق إلى حادثة اغتيال محمد ضياء الحق "الرئيس السادس لجمهورية باكستان (1977-1988) التحق بالجيش البريطاني عام 1943، رحل مع أسرته عام 1948 إلى كراتشي بباكستان، تولى العديد من المناصب العسكرية، وأعلاها رتبة فريق بعدما قام رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو بتعيينه رئيساً لأركان الجيش برتبة فريق. وفي عام 1981 اغتيل في انفجار طائرة عسكرية في مرحلة رئاسته" (خير رمضان، 2002، صفحة 174)، وقد عبّر الشاعر عن هذه الحادثة التي راح ضحيتها ضياء الحق وبعض الضباط والسفير الأمريكي بجمهورية باكستان

"سوداء" فهي دلالة على الحزن الذي خيم على الجزائر نتيجة الجرائم الشنيعة من تقتيل وخطف واغتصاب على يد الجماعة الإسلامية "الجماعة الإسلامية المسلحة" واختصارها GIA هي جماعة كفاحية تشكلت غداة إلغاء الانتخابات في الجزائر، فانهاالت الجماعة على آلاف المدنيين الجزائريين ذبحا خلال ما باتت تُعرف بالحرب الأهلية أو العشرية السوداء" (الناصري، 2008، صفحة 529).

ولم تقتصر جرائمهم اللاإنسانية على فئة دون غيرها، فلم يستثنوا الأطفال ولا حتى النساء "وأما عدد النساء اللاتي اختطفن في العشرية السوداء هو كبير جداً فبحسب إحصاءات قدمتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان فنحو خمسة آلاف فتاة وسيدة جرى اغتصابهن" (مجموعة مؤلفين، 2017، صفحة 552)

وعليه فقد صور الشاعر أحمد سحنون حجم المعاناة التي عاشتها الجزائر، بفضح المستعمر الغاشم والإرهاب الوحشي، وجرائمها الشنيعة التي قاموا بممارستها على الشعب الجزائري، بغرض فضحهم وتوعية الشعب بخططهم في بلوغ السلطة على حساب السلام العالمي.

ومنه فإن الشعر السياسي الذي نظمته سحنون قد حمل رسالة نبيلة، تتمثل في الدعوة لنشر السلام بوقف الحروب والدمار.

5. خاتمة

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثية إلى جملة من النتائج، يمكن رصدها في النقاط التالية:

1- إن العملية التنصيصية ما هي إلا ظاهرة لغوية نقدية مبثوثة في التراث العربي كمفهوم فقط، وتم تخصيصها بمصطلح في العصر الحديث مع اللسانية "جوليا كريستيفا" Julia Kristeva

2- إن تفعيل الوقائع والأحداث التاريخية في النصوص الشعرية تحيل إلى الثقافة الواسعة للشاعر.

3- باعتبار أن الشاعر لا يهدف للتأريخ في تنصيصه للأحداث التاريخية، فإنه يعمل على إخراجها من طابعها الجامد الجاف نحو الطابع الديناميكي الجمالي، سعيا منه لإيصال أفكاره للمتلقى في حلة حيوية لجذب انتباهه، فنجد الشاعر أحمد سحنون في قصيدته الموسومة بـ "يا لسُخف الحياة"، لم يكتفِ بالتحدث عن الاستعمار الإسرائيلي الغاشم وممارساته الوحشية ضد العرب بشكل عام وضد فلسطين على وجه الخصوص، بل دعم هذه الحقائق ببعض التشبيهات التي أضفت شيئا من الطرافة بتشبيه إسرائيل بالقروذ، كما فعل نوعا من الفخر بجعل العرب في مرتبة الأسود في شجاعتهم، هو الأمر الذي لا نجده عند المؤرخ إذ يكتفي بسرد الواقع بكل موضوعية دون انحياز لطرف دون الآخر. (سحنون، 2007، صفحة 84)

يَا لِسُخْفِ الْحَيَاةِ سَادَ الْيَهُودِ كَيْفَ لِلْعَرَبِ بَعْدَهُمْ أَنْ يَسُودُوا
لَمْ يَعُدْ لِلْأَسْوَدِ قَدْرٌ إِذَا مَا وَلِيَ الْأَمْرَ فِي الْحَيَاةِ الْقُرُودُ

وانتظروا فرصة الانتقام، هذا ما جعلهم يرفعون شعار الدفاع عن المسيحية في حملاتهم الاستعمارية بالرغم من أن لهم أهدافا خفية اقتصادية إلا أنهم استعملوا الدين للعزف على الوتر الحساس لكسب تعاطف الشعوب الأوروبية وأقنعوهم أن الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر ليست بهدف الغزو والاحتلال إنما لتنفيذ مهمة إنسانية محددة" (العمرى وآخرون، 2014، صفحة ص09) فمارسوا التقتيل الجسدي والغسيل الفكري بسن سياسة الفرنسية التي تنص على طمس الهوية العربية باعتبار أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية، وعليه فاللغة الفرنسية هي اللغة الأم في الجمهورية الجزائرية "أصدرت فرنسا مرسوما أعلنت بموجبه أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأرض الفرنسية" (ياغي وآخرون، 2010، صفحة 133)، لكن الشعب الجزائري المناضل لم يرضخ لهذه التعليمات بل قاوم بكل بسالة "قاوم الجزائريون المستعمرين الصليبيين وقاموا بحركات ثورية، ومع فشل بعض حركات المقاومة استأسد الصليبيون وازدادوا وحشية وضراوة" (شاك، 1996، صفحة 246) فلم يستسلم الشعب الجزائري المناضل رغم كل ما تعرض له من أذى جسدي ومعنوي واستمر في النضال والمقاومة إلى أن حقق الاستقلال بعد سلسلة من المجازر اللاإنسانية التي حفظها التاريخ وبذلك باتت المقاومة نموذجا يُحتذى به في النضال والثورات.

وعلى الرغم من تحقيق الشعب الجزائري للاستقلال وبلوغه الحرية إلا أن سلسلة الأحزان الدائمة لم تشأ أن تفارق أرض الجزائر الطاهرة ولعل الفترة الأكثر سوءا في تاريخ الجزائر تتعلق بفترة التسعينات التي أرهبت الجزائريين ونشرت الذعر بينهم، وقد عبر الشاعر عن هذه الفترة بقوله: (سحنون، 2007، صفحة 89)

أَيَّنَ الْاِسْتِقْلَالَ أَيَّنَ ارْتَحَلَ أَيَّنَ ذَاكَ الْحُلْمَ أَيَّنَ انْتَقَلَ
قَدْ بَدَّلْنَا الْجُهْدَ لَكِنْ لَمْ نَذُقْ ثَمَرِ الْجُهْدِ فَمَاذَا حَصَلَ

إذ أبدى تأسفه الشديد حيال الوضع الذي آلت إليه بلاده التي لم تهنا البتة، فبمجرد خروجها من نكبة المستعمر وقيامها بذاتها، دخلت في دوامة الحرب الأهلية، لتغرق مجددا في بحر الدماء وقد قال في هذا الصدد: (سحنون، 2007، صفحة 89)

انْتَظَرْنَا رُبْعَ قَرْنٍ عَبَثًا ضَيَعَ الْجُهْدُ الَّذِي قَدْ بَدَّلَا

ولعل السبب المباشر في قيام هذه الحرب مرده طعن قوات الجيش الوطني الشعبي لنتائج الانتخابات الرئاسية التي ظفر بها حزب الجماعة الإسلامية، ومنعهم من الوصول إلى السلطة من خلال انقلاب عسكري "منذ بداية عام 1992 سجلت الجزائر انقلابا عسكريا قويا تم فيه منع الجماعة الإسلامية من الوصول إلى السلطة، على إثر ذلك بدأت الحرب الأهلية في الجزائر حتى عام 2002" (غراي، 2016، صفحة 16) وكما نلاحظ فقد دامت الحرب عشر سنوات ولذلك أطلق عليها السياسيون تسمية "العشرية السوداء"، وأما تخصيصها بكلمة

المصادر والمراجع

- 4- يتميز الشاعر عن المؤرخ في تناولهما للتاريخ، فالأول غير ملزم بتتبع الأحداث التاريخية والتفصيل في حيثياتها من حيث تسلسلها الزمني والمنطقي، على خلاف المؤرخ الذي يتقيد بالإلمام بجميع عناصر الحادثة التاريخية، ونمثل لذلك بقصيدة " الغارة الحاقدة "، التي استهلها بقصف أمريكا لليبيا سنة 1986 بقوله: (سحنون، 2007، صفحة 106)
 - غارة واشطن على ليبيا بدافع الطغيان والكبرياء
 - ليُتبع هذا الحدث بحدث سابق له زمنياً وهو حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق عام 1980 بقوله:
 - الدم في إيران لما يزل والقَتْل في بغداد سخط نزل
 - أما المؤرخ فهو مُجبر على احترام التسلسل الزمني للأحداث، مثل المؤرخ فؤاد صالح السيد في مؤلفه الشهير الموسوم بـ " أعظم الأحداث المعاصرة"، وفيه رتب الأحداث بحسب تسلسلها من عام 1900م إلى غاية 2014م، مروراً بحرب الخليج الأولى التي جعلها في جدول تواريخ 1980 بقوله " اندلاع الحرب بين العراق وإيران عام 1980 بسبب النزاع على منطقة شط العرب" (السيد، 2015، صفحة 567) واستمر في عرض ما يلي عام 1980 بالترتيب.
 - 5- إن الشعر السياسي غالباً ما ينحى نحواً انتقائياً، ذلك أنه يركز اهتمامه على فئة ما ليوجه لها خطاباً مصيرياً يتعلق به كفرد أو كمجتمع أو كوطن، فكلما ضيق المساحة كانت الاهتمامات والمصائر مشتركة كقصيدة "أين الاستقلال" للشاعر أحمد سحنون وفيها خاطب الحكومة الجزائرية دون غيرها، من أجل القضاء على الإرهاب الهمجي الذي خلف الاستعمار الفرنسي في التدمير وزرع الرعب، بل كان أقسى منه كونه لم يرحم بني جلدته.
 - 6- للشعراء دور عظيم في تبيين القضايا السياسية، بطرحها على الرأي العام قصد إثارة المتلقي ترغيباً أو ترهيباً أو حتّى على رد فعل ما تجاه قضية سياسية معينة.
 - 7- بإمكان الشعر أن يُحقّق ما لم تحقّقه كتب التاريخ في تصوير الوقائع وتغييرها، ذلك أنّ الشعوب لا تكتثر عادة للوقائع الجافة المحفوظة في الأرشيف ولا تقتدي بها، إنّما تتأثر بالمرسل اللين الذي يتلون بحسب طبيعة المتلقي ويشاطره همومه وواقعه.
 - 8- تتغير أبعاد الواقعة التاريخية نسبياً بتباين دارسيها، فنجد مثلاً أنه لا يمكن لشاعر جزائري وشاعر فرنسي تتبّع الخطوات التحليلية نفسها عند تناصيص الثورة الجزائرية في أعمالهما، وبالتالي فهناك تأثير مباشر بين التناص التاريخي والبعد الإيديولوجي لصاحب العمل.
- ## تضارب المصالح
- ❖ يعلن المؤلفان أنه ليس لديهما تضارب في المصالح.
- إسماعيل، محمد صادق. (2010). من الشاه إلى نجاد-إيران إلى أين-9. ط1. القاهرة (مصر): دار العربي للنشر والتوزيع.
- آل طورش، محمد موسى. (2017). العالم المعاصر بين حريين من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب الباردة. ط1. بغداد (العراق): دار المعتز.
- أمين، إياد محي الدين. (2016). الاغتيالات السياسية في العصر الحديث عربا وعجماً. ط1. عمان (الأردن): دار زهران.
- البرقعوي أمجد. (2017). الضحوحة في شعر الهذليين. ط1. عمان الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي.
- تشومسكي، نعوم. (2015). ثقافة الإرهاب. ط1. (منذر محمود، مترجم). الرياض (المملكة العربية السعودية): دار العبيكان.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو. (2010). الحيوان. ط2. ج2. (محمد عيون السود، محقق). بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.
- جواد، علي. (1968). الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط1. ج17. بيروت (لبنان): دار الساقى. ج7. بيروت (لبنان): دار ومكتبة الهلال.
- حديد حسيب. (2013). دراسات النقد الأدبي. ط1. بيروت (لبنان): دار الكتب العلمية.
- الحسيني المعدي. (2014). موسوعة أشهر الاغتيالات في العالم. ط3. القاهرة (مصر): دار كنوز للنشر والتوزيع.
- خدوسي، رابع وآخرون. (2014). موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين. ط1. ج2. (إبراهيم صحراوي، مراجعة). الجزائر العاصمة (الجزائر): منشورات الحضارة.
- الخليل، سمير (2016). تقويل النص- تفكيك لشفرات النصوص الشعرية والنقدية. ط1. عمان (الأردن): دار غيداء.
- خير رمضان، يوسف محمد. (2002). تتمّة الأعلام. ط2. ج2. بيروت (لبنان): دار ابن حزم.
- دزار بركات، أنيسة. (1984). أدب النضال في الجزائر: من سنة 1945 حتى الاستقلال. ط1. (الولايات المتحدة الأمريكية): المؤسسة الوطنية للكتاب، جامعة ميشيغان.
- الزبيدي، مرتضى. (1992). تاج العروس من جواهر القاموس. ط2. ج18. بيروت (لبنان): دار الفكر.
- سحنون، أحمد. (2007). ديوان الشيخ أحد سحنون. ط1. ج2. الجزائر العاصمة (الجزائر): منشورات الحبر.
- السيد، فؤاد صالح. (2015). أعظم الأحداث العالمية. ط1. بيروت (لبنان): مكتبة حسن العصرية.
- شاكر، محمود. (1996). التاريخ الإسلامي المعاصر ببلاد المغرب. ط2. ج14. بيروت (لبنان): المكتب الإسلامي.
- شاهين، فؤاد. (1996). الطائفية في لبنان -حاضرها وجذورها التاريخية والاجتماعية-. ط2. بيروت (لبنان): دار الحداثة.
- ظاهر، مسعود. (1984). لبنان الاستقلال -الضيعة والميثاق-. ط1. بيروت (لبنان): دار الفارابي.
- العلي، محمود أنس. (2015). الحرب الباردة والصراع بين القوة العظمى. ط1. عمان (الأردن): دار الجنادرية.
- العمري، مومن وآخرون. (2014). جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر (-1962 1830). الجزائر العاصمة (الجزائر): دار الأملية.
- غراي، ستيفن. (2016). أسيايد الجاسوسية الجدد. ط1. (مركز التعريب والبرمجة، مترجماً). بيروت (لبنان): الدار العربية للعلوم ناشرون.
- غنيم، غسان وآخرون. (2008). الرمز والأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر والحديث. ط1. دمشق (سوريا): دار العائدي.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد وآخرون (دس). العين. (إبراهيم السامرائي،

محقق). ج7. بيروت (لبنان): دار ومكتبة الهلال.

– قزامل، سونيا هانم. (2013). المعجم العصري في التربيّة. ط1. القاهرة (مصر): عالم الكتب.

– القيرواني، ابن رشيّق. (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ط5. ج1. (محمد محي الدين عبد الحميد، محقق). بيروت (لبنان): دار الجبل.

– الكرياسي، محمد الصادق. (2018). دائرة المعارف الحسينية، معجم الشعراء الناطقين في الحسين. ط1. ج3. لندن، (المملكة المتحدة): المركز الحسيني للدراسات.

– كعب، بن زهير بن أبي سلمة. (2008). الديوان. ط1. بيروت (لبنان): المكتبة العصرية.

– المجالي، جهاد شاهر. (2008). دراسات في الإبداع الفني في الشعر. ط1. عمان (الأردن): دار الجنادرية.

– مجموعة مؤلفين. (2017). العنف والسياسة في المجتمعات العربية المعاصرة. ط1. ج1. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

– مختار عمر، عبد الحميد أحمد. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. ج3. القاهرة (مصر): عالم الكتب.

– المخزومي، شاكر عبد العزيز. (2011). في طريق العطش – أزمة المياه في العراق وبعض الدول العربية. ط1. عمان (الأردن): دار ورد الأردنية.

– المشير، عبد الحليم أبو غزالة. (1994). الحرب العراقية الإيرانية 1980/1988. ط1. القاهرة (مصر): مكتبة نور الحرب.

– المكتبة الشاملة. (10 أكتوبر 2012). تم الاسترداد من:

<https://shamela.ws/index.php/author/2541>

– مندور محمد. (2012). الأدب وفنونه. ط8. القاهرة (مصر): دار النهضة المصرية.

– منصور، حسن عبد الرزاق. (2008). الشعر والعقل منهج للفهم. ط1. الأردن (عمان): دار فضاءات للنشر والتوزيع.

– الناصري عمر. (2008). في قلب الجهاد. ط1. الرياض (المملكة العربية السعودية): مكتبة العبيكان.

– النعيمي، فيصل نوري. (2009) ط1،، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لمنيف. الأردن: دار مجدلاوي.

– النعيمي، أحمد نوري. (2012). السياسة الخارجية الإيرانية (1979 / 2011). ط1. الخرطوم (السودان): دار الجنان.

– النعيمي، فيصل غازي. (2009). العلامة والرواية، دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لمنيف. ط1. عمان (الأردن): دار مجدلاوي.

– الهزايمة، محمد عوض. (1997). حاضر العالم الإسلامي وقضاياها السياسية المعاصرة. ط1. عمان (الأردن): دار عمّار.

– ياغي، إسماعيل محمود وآخرون. (2010). تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر. ط6. ج2. الرياض (المملكة العربية السعودية): دار العبيكان.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف كنزة بوهراوة، وآخرون (2020)، مقارنة تناصية تاريخية في الشعر السياسي الحديث – قصائد من "بين السياسة والوطنية" من ديوان أحمد سحنون أنموذجا –، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات. ص: 213-222